

بحوث بأدب يهود العراق وثقافتهم اشعار الزيارة للقبور المقدسة^(١) باللغة العربية اليهودية بين يهود بابل^(٢)

اسحق ايشور

ترجمة وتعليق: أ. د. طالب مهدي الخفاجي / جامعة بغداد

مكرس لموضوع الزيارة. بالقصيدة يذكر قبر عزرا الكاتب، والقادمين إلى زيارته بالسفن. بين الزائرين يذكر يهود بغداد والموصل والبصرة، ويهود ثلاث مدن كبيرة بالعراق. أدناه نصاب غنائيان، النصاب مطبوعان، والنص الذي وصل إلينا شفويًا وترجمتها إلى العربية.

أ. النصوص المطبوعة
حلو حلو للسوفير
ياربي اطعينو مرادو
للعريس أنشا الله بالخير

حلو حلو للسوفير (٢) من اجل عزرا الكاتب هذا الشعر – الأهزوجة الشعرية – وجد حاليا في كتب القصائد الغنائية ليهود العراق. لم يعثر عليها بخط اليد. في النص المطبوع باستثناء عنوان القصيدة الغنائية مرتبطة بالذين يتذكرون الكاتب (أي النبي عزرا الكاتب)، والمتعلقة بحادثة الزيارة، ولعزرا الكاتب، ولقائه كتب الشعر. أضف إلى ذلك، بالنصوص المطبوعة التي احتلت مكاناً مركزياً في موضوع الزواج والتهاني للعريس الموجودين في كل بيت من بيوت الشعر. والشعر الموجود في كتب القصائد الغنائية تحت عنوان (قصائد غنائية للعريس). وفيما يتعلق بالنص الشفوي الذي حصلت عليه من صالح الكويتي عن موضوع زيارة الأسابيع (الذي يسمع من أفواه يهود بابل) عند الزيارة للقبور المقدسة. والشعر كله

ب- نصوص شفوية منقولة عن صالح الكويتي.

حلو حلو للسوفير
وشقد حلو للسوفير

حلو حلو للسوفير
ربي أعطيهم مرادم
حلو حلو للسوفير
يحفظ ولادم بالخير
حلو حلو للسوفير

شرغت علينه إلكمرة
خوفي من نار إلكمرة
تحبيها يهود البصرة
وبغداد وموصل بالخير
حلو حلو للسوفير

هاذي الفرحة بفرحتين
فرحة وشافت العين
يهود بغداد الصوبين
يحفظ ولادم بالخير
حلو حلو للسوفير
يحفظم عزرا السوفير

بمركب السبت جينه
عراك وشغب شطينة
العزيز ينور علينه
(٨) جينة نزوغو بالخير
حلو حلو للسوفير

٥- هذه الأغنية - الأهزوجة - أوي منك، أوي منك، وجدت في كتب (ساسون، ٢٤٦، عمود ٥)

حلو حلو للسوفير
جينا بليلة إلكمرا
حتى يطول بعمرنا
بالعهد انشا الله بالخير
حلو حلو للسوفير

يابا اشعندي نبعه
من الملوك تسوه سبعه
هذا الحكمي لتبعه
كل ليالي انشا الله بالخير
حلو

يناس لتلوموني
شفت العريس بعيوني
سهران لتعيروني
(٤) بالصبي أنشا الله بالخير
حلو

شفتك بعيوني صديت
مثلك عريس مالطيت
سويها صفقه حيل وحيل
(٦) بفيديون عندو بالخير
حلو

هذه الفرحة بفرحتين
فرحة وجرت على العين
ربي يسلم الاثنين (٧)
بالعهد عندم بالخير
حلو حلو للسوفير

أوي أوي منك
 أوي منك يازوجي
 عملة وعملتها بي

أوي منك ياغجال (٩)
 ما قلتوك ما قلتوك
 هل السنة ماروح للزيارة

آخ منك آخ منك
 ما قلتوك ما قلتوك
 (١٠) الخان أروح للزيارة
 حبيب لي بغل أجره

أوف منك يارجال
 جبتي احمار أعرج
 طول الدرب يمشي ويتعثر

آخ منك يارجال
 آخ منك يارجال
 قلتوك تعال
 وامسك بقوة الحمار
 خليني امشي برجلي

آخ منك يارجال
 قلتم نزلو قلتم صعدا
 وهي مربوطة على الدابه (١١)

آخ منك آخ منك
 هل السنة أش زيارة
 وطلعتها من انفها

ما قلتوك ما قلتوك
 منى ميتين ومنك مي

يضم شعر شعب يهود العراق الذين اهتموا بالكتابة أو نسخوها في القرن التاسع عشر. هذا الشعر انحدر إلى أعماق النسيان ولم يجده اليهود الذين خرجوا، من بابل حتى الآن. باعوا هذا الشعر أو جزءاً منه أو عندما سمعوا به حين كان حياً في حدود زيارات قبور المقدسين، أو بحوادث أخرى. هذا الشعر هو شكوى المرأة من زوجها على ماتتحمّل من المتاعب التي نشأت في الطريق لزيارة قبر النبي حزقيال. القصيدة شعبية جداً بلغتها واسلوبها ومضمونها وبأجوائها ذلك أنها وظيفة الشعر التي تضمنت عشرين بيتاً أنشئت كل ثلاثة أو أربعة اسطر سوية وهي ليست مقفاة أو مكتوبة بإيقاع شعري. ومقدمة الأبيات المشتركة المكررة الوافرة الدائرة ليست صورة الشعر هدفه لغرض هذا الشعر الذي هدفه الزيارة، والحوار بين المرأة وزوجها. ولكن كلمات المرأة كلمات ادعاء ولا تعطي جواباً لزوجها كذريعة. وأخيراً تتوسل المرأة بزوجها لكي يقول كلمة ما. وهكذا جواب لها يعيد باختصار الجواب في حدود بيت واحد فقط. ووجد من خلال عشرين بيتاً القصيدة التي تذكر المرأة في تسعة عشر بيتاً والزوج في بيت واحد فقط. النقمة الوحيدة الباقية عن زوجها بصورة عامة كما تبدو هي انه يريد رفع ادعاءات زوجته من سجل كتابة لأجيال.

من القصيدة نتعلم وسائل الاتصالات التي انتهجت في تلك الحقبة عن مجيء الزائرين إلى قبر النبي حزقيال. انها كانت قصائد مدح (كرفان) التي تجرها البغال والمؤلم جداً استئجار الحمير لهذه الكرفانات. جزء من الألم يظهر من هذه القصيدة قصيدة (يزوار) اضطهاد اللصوص في قصائد الزائرين، التي لم يجدوا لها علاجاً. وهذا هو نص القصيدة بالعربية وترجمتها إلى العبرية.

هبيّ حمارة سوده
حتى ما بينو جنجيل (١٩)

آخ منك آخ منك
اخ منك يارجال
زرغت المخدة تحتي
اوف منك اوف منك
اوف منك يارجال
هل السنة ايش زيارة
بس دا اوصل للحله
شمشلو كل شعري
آخ منك آخ منك
بس دا اوصل للنبي
ساضربك بلطماية
واشيد لك دادوشة

٦- قصيدة يزوار يزوار

القصيدة يزوار يزوار، وجدت بين كتب ساسون ٤٢٧،
عمود ٦٢، وبها فقط، وليس لها ذكر لا بالمخطوطات
وما أضافوا إليها. كذلك أضيف إليها حتى الان شيء
ما مقرب إلى يهود بابل، ويذكر الشعر الذي سمعه في
وقت ما.

هذه القصيدة التي برزت في الكتب في القرن
التاسع عشر وكل مارأيناه هو قديم وكثير في تلك
الحقبة والتي فضلت على الكتب التي أهملت إكليل
القرن العشرين. هذه القصيدة منذ القدم أفصحت
عن أسلوب شعري قائم على التذمر، إلا أن التذمر
هنا لم يكن تذمر امرأة ضد زوجها إنما التذمر فقط
ضد اللصوص في قصائد الزوار لقبر النبي حزقيال.
وكما أشارت إلى اللصوص بأنهم ليسوا غرباء، إنما فقط
أصحاب البغال الذين يدبرون المكائد والسرقات من
الزوار. ويتضح في القصيدة للتذمر بملابس يهود
بابل القديمة التقليدية التي ذكرت في القصيدة مثل،

(١٣) ونخليها مسختته

آخ منك آخ منك
عمله وعماتها بيبي
هذا الشغل الخوفني

ماقتولك يارجال
هذا الشغل الخوفني
وطعت عليه بلييه

ماقتولك يارجال
(١٤) عينتونو لحرامي مشلح بشعفة (١٥)
(١٦) وزرك من تحت الدابة

آخ منك آخ منك
لن وصلنه الكنطرة (١٧)
عشرت الدابه بيبي

أوف منك أوف منك
أوف منك يارجال
كلمتك الحلوه
بس كلمني ها المره

أوف منك يارجال
حسرة بقلبي قلتولك
لن قلتولك اعلينو لتاجك (١٨)
ضيعنا العمامة

أوف منك أوف منك
أوف منك يارجال قلتم حميرم بيضا

الايزار والفينة، وهذا هو نص القصيدة وترجمتها إلى العربية:

زوار

ياخذو الفينه والايزار
وأنا لجيكم جاسوس
لأنني بطمع لا بفلوس
راح الحيا والناموس
جبريني بفكت الايزار
يزوار

القصيدة تقرأ زنگولا خوش زنگولا (رفافة بدبس
لذيذة). وجدت هذه القصيدة في كتب (ساسون ٤٨٥/
عمود ٣١). هذه القصيدة الغنائية يتكرر فيها البيت
الأول الذي يتعلق مباشرةً بجلب الانتباه إلى الزيارة.
وبزيارتنا لزيارة النبي يحزاقيل، بينما بقيت أبيات
القصيدة ملائمة لكل زمان ولكل حدث. وهذا نص
القصيدة بالعربية وترجمتها إلى العربية:

زنگولا خوش زنگولا

وزيارتنا مقبولا

زنگولا اشتريناها بفلسين
ونريد نزور نبي يحزاقيل
وأريدك انشأ الله بالخير
نفتح ونشرب بطولا (٢٧)

ألف هلا بالهمطبل
منك يفوح العنبر
وانه عل فرطا مطدر
وخلي طولي علة طولا (٢٨)

يعجبني لطعد يمك
بدال الورد لشمك
الله يخليك لامك
تسويلنا خوش زنگولا

أصلك رمل سيالي
خوان ومالك تالي
وأنت ألعبت بحالي
زغرت قدر الزنطولا

ونا لروح لزياره

وقارى الشعر سوى حقاره
طلعنه فوق المناره
(٢٤) ونتش الفينه والايزار
يزوار

وجينه لسكندريه
ولحرامي مسوي نيه
وخذ الفينه والايزار

وجينه للمحا ويل
وصارت فزعه بين الغيجيل (٢٥)
ولحرامي قصير مطويل
زرك من جووا الحمار

لروح زياره بهليل
قطعنا ركابت (٢٦) الخيل
وبدخيلك نبي حزقيال
تعوضلي فكت الايزار
يزوار

في هذا الكتاب يصف المؤلف المهرجانات بزيارة المسلمين
لقبر (سلمان باك) بالتفصيل. وبعد أن نشروا الرايات
وعزفت الآلات الموسيقية انشدوا القصيدة.

الما يزور السلطان عمرة خسارة
سلطان راعي الشارة
والما يزوره السلطان عمرة خسارة

في ذلك الكتاب - المطبوع في بغداد - ليست
هناك آثار لسطور أضيفت إلى هذا السطر، وليس
هناك ما يعرف أن وجدت أبيات هذه القصيدة عند
المسلمين في العراق أم لا. على أية حال عند يهود بابل
تتضمن هذه القصيدة على عدد من الأبيات والمضامين
اليهودية المتميزة وفقط العنوان والأنشودة الغنائية
التي تتكرر فيها المشتركات لقصيدة المسلمين، وقصيدة
اليهود في العراق.

يلله يربعي أولاد ساره
والما يزور العزيز عمره خسارة

العزيز جينه أنزورك
العزيز جينه نشوفك
اليهود ابد متعوفك
والما يزور العزيز عمره خسارة

اليهود بقلب فرحان
كل سنة يجون بزمان
دهلهو ينسوان
والما يزور العزيز عمره خسارة

يايهود الله يخليكم
قلبي متولع بيكم
غالي الثمن يغريكم

أصلك رمل مالومك
وهذا طبعك من يومك
تسكر وتشك بهدومك
كله من أكل الزنگولا

سليتني بسل العود
ومنك يبو عيون السود
كثر الحجى ماعود
ولا تحسبني مجهولة

طلبي يحبك ويريدك
شطايح بيدي وبيدك
قلبي مجبور ويريدك
دخلي طولي على طولك

ألف هلة بيك يازين
واحطلك حرز من العين
مثلك بدر الطا منين
ولو افتح دكان زنگولا

شفته يمشي بظهييه
عطشان ويريد لو ميه
بلله دصفي النيه
وطعمك بعسل زنگولا

القصيدة : المايذورة السلطان عمرة خسارة
هذه القصيدة معروفة حتى اليوم، ليست
بخط اليد وليست مطبوعة إنما سمعتها شفويًا من
صالح الكويتي بمناسبة عيد الشفوعوت (عيد نزول
التوراة). وقد كتبت بلهجة أهل الموصل ويبدو لي -
للمؤلف - أنه بالأساس كانت قصيدة إسلامية انشدها
المسلمون أثناء زيارة قبورهم المقدسة (٢٩). وحقاً
وجدت أسساً لمعرفة ذلك بكتاب طبع مؤخراً ببغداد،
وتم الاعتناء بها في ضوء المناهج الإسلامية في العراق.

والما يزور العزيز عمره خسارة

القصيدة النبي يانبي من اجل النبي يحزاقيل
أ- نص من كتب ساسون 472، عمود 54. من كتب
ساسون 472، والتي تقرأ (دفتر غنائي) (كراسة الأشعار)
وتتضمن مجموعة تشتمل 256 عمود إشعار مع أمثال
يهود العراق، الذي كتب في المائة التاسعة عشرة. الشعر
وجد على عمود 54 وتشتمل ثلاثة أبيات (مقاطع)
عن زيارة قبر النبي يحزاقيل، تفتح الاضوية، وترفع
الرايات هناك، وهذا النص الشعري وترجمته إلى
العربية:

النبي يالنبي
تحفظ لي غياي
نشعل شميع العسل
ونزورو لنبي

النبي زورونو
وشميع شعلولو
ينسوان هلهولو
لمقام النبي

النبي زورونو
والرايات نشرولو
ينسوان غنولو
لمقام النبي

ب. النص المطبوع

هذه القصيدة، تتضمن ثلاثة أبيات (مقاطع) بخط
اليد أعلاه هي (الزيارة) لقبر النبي يحزاقيل، التي
فقدت بمرور الزمن وهي القصيدة الوحيدة عن
الزيارة فقط بقيت كقصيدة عن العرس وهو مظهر
كما قيل في كتب الأشعار الغنائية المطبوعة في إطار

مجموعة (الأشعار الغنائية للأعراس). الاعداء عملوا
الشطب والحذف في البيت الثالث (المقطع الثالث) عن
القبر المقدس، ورفع الرايات هناك، وأضافوا مقطعاً
بين المقطع الأول والثاني في ضوء النص المكتوب باليد
الذي يتضمن العرس والبقية للزيارة زيادة على ذلك.
واللقب ((النبي)) صُرّف في المقطع الأخير ((لرب
النبي)). وهذا هو النص الظاهر بالطبع وترجمته
إلى العربية.

يانبي يانبي
احفظ لي غياي
نشعل شميع العسل
ونزورو للنبي

يانبي ويانا
العريس ويانا
عندو وجبه مليانه
يحفظهو للنبي

النبي قولولو
وشميع شعلولو
ينسوان هلهولو
ويا رجال صفقولو
لرب النبي

ج - النص الشفوي عن صالح الكويتي

صالح الكويتي هو احد الموسيقيين المشهورين
جداً في بلدان الشرق وفي الاوساط العربية على نحو
عام، وعند يهود العراق خاصة. ان نشاطه الموسيقي
المتشعب، للعزف على القيثارة كمؤلف وملحن لمئات
القصائد الشعرية والألحان الشعبية.

اكتسب عنها شهرة كبيرة كممثل للقصيدة
الشعبية (الأغنية الشعبية) في البناء الرحب للمفردة
في العراق وخاصة للقصائد الشعرية ليهود العراق.
القصيدة (يانبي يانبي)، أخذت عنه في إطار مناسبة

النبي زورونو
وبيارق نشرولو
ينسون هلهولو
ليحزا قیل النبي
يانبي

تعليقات المترجم:

١- جاء في الصفحة الأولى قول المؤلف أشعار الزيارة للقبور المقدسة، ((هذه القصيدة الغنائية)) نقول من يذهب لزيارة القبور لا ينشد القصائد الغنائية أولاً، وثانياً يبدأ هذا الشعر (الأهزوجة) بالزنتولا وهي حلوى فهذه الأهزوجة لاتصلح للإنشاد بين القبور. ومما يلتفت النظر إلى النص يتضمن الغزل الواضح مثل ((ألف هلة بهلمطبل)) أي ألف هلة بالقادم، ونص آخر يذكر ((خلي طولي على طولك وهذا غزل واضح. فهذه القصيدة لاتصلح أن تغنى أو تنشد عند زيارة القبور.

٢- قال المؤلف في الصفحة الأولى، ان هذه الأشعار باللغة العربية اليهودية. نقول: ليست هناك لغة عربية يهودية، إنما الصحيح هناك لهجة يهودية يتحدث بها سكان يهود بغداد، وربما يتحدث بهذه اللهجة يهود البصرة والموصل ومناطق العراق الأخرى.

٣- السوفير (٧٩٧٠) أي الكاتب والمقصود عزرا النبي.

٤- بالصبي: وهي تضرع إلى الله كي يرزق العروس صبياً.

٥- صفقه: أي التصفيق بالأيدي.

٦- انها تطلب من العريس أن يصفق بقوة، وهذا التصفيق كأنه فدية.

٧- الاثنين أي العروس والعريس.

٨- نزوغو أي نزوره.

٩- ياغجال أي يارجال.

١٠- الخان أي الان نذهب للزيارة.

١١- الدابة: الحيوان والمقصود الحمار.

زيارة عيد الأسابيع (شفوعوت) في سنة ١٩٨٠. هذه القصيدة أتمها صالح الكويتي من مجموع أربعة مقاطع ووحدها وجمعها من نصين كما وصف أعلاه. إلا أن قيمة البيت عن العريس جاء هنا مقطوعاً يتعلق بالإنسان في إسرائيل ومباركته. لذلك أن كل أبيات القصيدة مقدسة تحمل موضوع الزيارة نفسها، وليس هناك ذكر لمناسبات أخرى. ولكن ليس هناك قول بأنه لم تقع اختلافات بل حصلت المطابقة في المناسبات الأخرى. وكرر الكلمات مطابقة للمناسبات. وهذا هو نص الأبيات في ضوء حديث صالح الكويتي.

يانبي يانبي
تحفظ لي غيآبي
نشعل شميع العسل
ونزورو للنبي

النبي قولولو
وشميع شعلولو
سويها هلهولو
ليحزا قیل النبي
يانبي

يانبي ويانه
وشميع شعلولو
سويها هلهولو
ليحزا قیل النبي
يانبي

يانبي ويانه
يسرائيل ويانه
تحفظ ولادم بالخير
بحق النبي
يانبي

قبورهم المقدسة. الحقيقة هذا وهم من المؤلف فهذه الأزوجة لاعلاقة لها بالزيارة المقدسة، إنما هي سفرة للراحة والمتعة يقوم بها بعض سكان مناطق بغداد إلى المنطقة التي دفن فيها الصحابي (سلمان باك). وكان الناس يخرجون على شكل مجموعات وهم يحملون معهم وسائل الطبخ. وقد أطلق على هذا التقليد الذي تقوم به تلك المناطق (بالهلاي) فما هو الهلاي؟ من احتفالات الربيع في بغداد في القرن الماضي والتي زال معظم آثارها وأوشكت الباقية على الاندثار هي (الهلاي) والهلال تعني النقر على الطبول وتجمع الناس حولها واصلها (الالاي) وهي من التركية ومعناها الكتيبة والأبهة وبعض العوام يقولون هلاي. وقبل شهر آذار وفي ساعة مبكرة من صباح يوم يتفقون عليه، تفرع الطبول وتنقر النقارات في كل محلة من محلات باب الشيخ وفضوة عرب وقره شعبان وبني سعيد والمهدية والفضل والفاضرة وغيرها... فيجتمع أبناءها ويشرعون بتحميل أمتعتهم على الحيوانات (من بغال وحمير) وفي البرشقات - وهي عربة خشب مستطيلة الشكل يجرها حصانان، وهي من دون سقف للنقل وتصنع محلياً - أو بواسطة الدواب النهرية حيث تترام على سطحها نسوة وفتيات وصبيان. وعند وصول الجماعة الأولى مع الخيم وأدوات الطبخ، يشرع شباب ورجال كل محلة بنصب خيم محلتهم في محل يتخرونه لهم... وفي الأيام التالية تتوافد مواكب المحلات إلى ناحية (سلمان باك) بأعلامهم الكبيرة المنشورة وتتعالى أصوات الطبول والنقارات والدفوف بين هوسات كثيرة مختلفة منها :

الما يزوره سلمان عمره خسارة

سلمان راعي الشارة... والما يزوره سلمان عمره

خسارة

قبل الخوض في الكتابة حول أهل الحق ومعتقداتهم،

١٢- أش زيارة: أي أن هذه ليست زيارة بسبب التعب ومعوقات الطريق وكثرة اللصوص.

١٣- مسخنه أي الربا.

١٤- عينتونو: أي رأيته بعيني.

١٥- زرك: أي سحب نفسه بقوة من تحت الدابة وانهزم.

١٦- الطنطرة وهي القنطرة التي تصنع من جذوع النخيل والأخشاب وتوضع على السواقي لكي تعبر عليها الحيوانات والإنسان.

١٧- اعلينو لتاجك: أي ارفع تاجك والمقصود رأسك.

١٨- جنجيل: وهو الجرس الذي يوضع حول رقبة الحمار.

١٩- سملشو: أي ساقطع شعر رأسي كله.

٢٠- اللطمة: أي الضربة، وغالباً تكون اللطمة على الرأس أو الوجه.

٢١- دادوشة: أي الحلية.

٢٢- الفينة والايزار: الفينة لباس يوضع على الرأس وهي دائرية الشكل. أما الايزار فهو يشبه البطانية ولكن خفيف ويصنع من الشعر ويستخدم لغطاء الجسم حين يكون الجو معتدلاً. وتشتهر مدينة الحي في العراق بصناعة اليزر.

٢٣- نتش أي سرق وانهزم.

٢٤- الغيجيل: أي الرجال.

٢٥- رطابت الخيل: والمقصود الفرسان الذين يركبون خيولهم والمقصود: أوقفنا الفرسان (رطابة الخيل) ومنعناهم من نيل رغباتهم.

٢٦- نشرب بطولا: أي نشرب المشروبات الغازية بالبطل المصنوع من الزجاج وتلفظ هذه المفردة (بضم الباء والطاء) والمفردة من الأنكليزية (Bottle).

٢٧- طولي على طولك: أي دعنا ننام سوية فيكون طولي مجاوراً وملاصقاً لطولك.

٢٨- قال المؤلف ان هذه الأزوجة (المايزورة سلمان عمره خسارة) ينشدها المسلمون أثناء زيارتهم